اجتماعية المعرفة فى التربية الإسلامية

مقدمة :

صور المعرفة المختلفة وميادينها ، مثلها مثل الكائن الحى ، تولد وتنمو وتتطور وهى فى نموها وتطورها لابد أن تثبت فاعليتها ووظيفيتها فى مواجهة التغيرات والتطورات التى تحدث بصفة مستمرة على أرض هذا العالم الذى نعيشه ، وإذا عجز فرع منها عن ذلك وتخلف عن الركب ، تخلى عنه الإنسان ، وإن احتفظ به ، فإنما ليكون ذلك مجرد حركة على طريق التاريخ ، أى أن وجوده لا يعدو أن يكون بضع صفحات فى كتب التاريخ مثلما يحتفظ الإنسان ببعض صور كائنات اندثرت ، فى متاحف التاريخ الطبيعى .

ومن المسلم به لدى المؤمنين بالعقيدة الإسلامية ، أن تلك العقيدة ، باعتبارها خاتمة الأديان ، وباعتبار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، أن يكون الإسلام صالحا لكل زمان ومكان ، ومن ثم يصبح من الأهمية بمكان أن نبرز ما تحتويه فروع المعرفة الإسلامية من إمكانات وبدائل تواجه بها ظروف التغير الزمانية والمكانية حتى يزداد المؤمن قناعة بالطريق الإسلامى ، وكذلك حتى يتوافر لديه الوعى الكافى اللازم لعمليات التطوير والتغيير المنشودة .

ولما كانت القضية المحورية للدراسات التربوية المعاصرة هى ما يمكن تسميته بـ " الاجتماعية " أو " التوجيه الاجتماعى " ، يصبح من الضرورى للمسلم المشتغل بهذه الدراسات أن يكشف عن هذا التوجه فى القضايا التربوية من وجهة النظر الإسلامية .

ونحن إذ نختار من القضايا التربوية قضية " المعرفة " ، فلأن جميع المذاهب الفلسفية فى التربية تتفق على أهمية التفكير ووظيفة المدرسة فى تنميته

، فوظيفة المدرسة فى تحليلها النهائى وظيفة فكرية ، إذ توجه الناشئين " بالمعرفة " وعلى أساسها ، وتهدف إلى تنمية " عقولهم " وتشكيل سلوكهم بما يكتسبونه من معان ومفاهيم واتجاهات . غير أن اختلاف هذه المذاهب حول طبيعة الفرد وطبيعة القيم ومصادرها ، يتضمن اختلافا حول ماهية التفكير وطرق تنميته ومكانته فى العملية التربوية ذاتها [1] .

وقد تعبر المدارس – بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالوعى أو باللاوعى – عن هذا الاختلاف الذى كثيرا ما يرتبط باختلاف حول الخبرة التعليمية من حيث مكوناتها والقيم المتضمنة فيها والهادفة إليها ، وهذا اختلاف ينعكس على الثقافة التى تعمل فيها المدرسة من أجلها ويتأثر بنوع هذه الثقافة وباتجاهاتها ، فالمدرسة وهى تنظر إلى وظيفتها من زاوية التفكير، تتأثر بنوع القيم وبنوع الاتجاهات الاجتماعية والسياسية التى يأخذ بها المجتمع ، وهى فى نفس الوقت لابد أن تؤثر على هذا كله بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

لقد كان الإبستمولوجيون فى الفلسفة قد ألفوا النظر إلى الذات المدركة على أنها " الإنسان الفرد " أو " الإنسان المنعزل " أو الإنسان الصورى " الخالص ، بالمعنى الكانطى ولم يميزوا بين الذات العارفة أو المدركة من جهة ، وبين عالم الموضوعات التى أرادوا إدراكها من جهة أخرى ، كما أنهم لم يفسروا كيف يدخل " العالم الموضوعى " ويلج بموضوعاته إلى عالم الوجدان والشعور، فتتمثله الذات الشاعرة أو المدركة [2] . على حين أننا لا نجد إنسانا بدون تاريخ كما ذهب (ستارك) ، ولا نجد إنسانا مجردا على الإطلاق ، كما يستحيل علينا أن نجد عقلا خالصا، ولا يوجد فى الواقع إلا ذلك الإنسان المشخص المحدد بالذات ، ذلك الإنسان الاجتماعى الذى نراه من خلال احتكاكه بالآخرين والذى يتأثر بمختلف المعايير الاجتماعية ، والذى يتشكل عقله بالتربية وتصاغ شخصيته فى صور اجتماعية كما يصاغ عقله فى إطار اجتماعى

ويتحدد فى قالب ثقافى ، وهذا هو الإنسان الاجتماعى لا المجرد ، الإنسان الذى يختلف من عصر إلى عصر ، ومن مجتمع إلى مجتمع ، فمن خلال روح العصر فى المجتمع نستطيع أن نعرف كيف يفكر هذا الإنسان وفيما يفكر ، فمن الخطأ إذن من وجهة نظر اجتماعية المعرفة أن نميز بين الإنسان باعتباره كائنا وعضوا فى مجتمع محدد بالذات وبينه كإنسان عام مجرد ، ومن الإجحاف أن نهمل ذلك البعد الاجتماعى الكائن فى الفكر والوعى الإنسانى [٣] .

البعد الاجتماعى فى الإسلام :

ولا مجال لإنكار اهتمام الإسلام بالفرد وعنايته البالغة بتهذيبه ، ضميره وخلقه وتوجيه سلوكه ، وهى عناية قد يسئ البعض فهمها من المحدثين ، فيما يسمعون من اتجاه المذاهب العصرية إلى المجتمع على تفاوت منها فى موقفها من الفرد بين إهدار شخصيته أو الاعتراف بها بقدر محدود .

بيد أن الإسلام إذا كان يؤمن بالفرد ، إلا أنه لا يؤمن بالفردية ، وهو فى حال الإيمان بالفرد يؤمن بحقيقة موجودة [٤] . وفى حال إنكاره للفردية ، يرغب فى أن يتجنب الفرد مخاطرها التى تتمثل فى سيطرة حب المنفعة الذاتية على تصرفات الأفراد وتوجههم فى الحياة مما يجعل تماسكهم والتفافهم نحو هدف عام أمرا عسيرا .

لقد كان الفرد فى الجماعة من وجهة نظر الإسلام ، وحدة تتفاعل مع غيرها ، تأخذ وتعطى، لها استقلالا مقيدا وحرية مقيدة . والفواصل التى تحدد استقلال الفرد فى الجماعة المسلمة فى التصرف والتملك على السواء ، هى الفواصل بين الحلال والحرام ، إذ الحلال هو ما يمثل النفع الفردى ، أو النفع العام ، وهو نفع الآخرين مع الفرد فى الجماعة . والحرام بالعكس هو ما يمثل

الضرر الفردى أو الضرر العام ، وهو ضـــرر الآخـــرين مـــع الفـــرد فـــى الجماعة [٥].

ويعكس هذا رؤية واقعية وإدراكا واعيا بأن وجود أو استمرار أى حيـــاة اجتماعية ، تعنى وجود قيود والتزامات يتبادلها أفراد الجماعة وواجبات وحقوق تؤكد فاعلية وعيهم بالوجود المشترك بينهم . وعلى الرغم من أهمية هذا الأمر وخطره ، إلا أن تحقيقه فى حاجة إلى مجاهدة تخرج كل فرد من دائرة الـــذات فى التفكير والسلوك والإحساس ، إلى دائرة الاعتراف بالغير والتعاطف معـــه وتبادل المصلحة والتماسك سويا من أجل البقاء [٦] .

وإذا تأملنا فى أصول العقيدة التى جاء بها الإسلام وفـــروض العبـــادات وأحكام المعاملات وكل التوجيهات لسلوك الإنـــسان ، فـــسوف نجـــد النظـــرة الاجتماعية والتوجه الاجتماعى .

فالتوحيد ، وهو جوهر العقيدة ، ليس إلا رفضا للعبودية للبشر فى مختلف ضروبها وأشكالها وهذا تحرير للإنسان من مهانة الرق والاستعباد ، ومن فتنة تقديس الزعماء والأبطال والرؤساء الحكام ، وأغلال الخوف والجبابرة والطغاة [٧] .

والعبادات ، شعائر لا طقوس ، وحين لا تؤدى العبادة غايتها من صلاح الفرد والجماعة، وتقوى وخشوعا وتواضعا وتراحما وتكاملا ، فإنها تؤول إلى طقوس شكلية وحركات آلية فقدت مغزاها وحكمتها ، وكان منها للمرائين أقنعة زيف وتمويه يشق بها على الناس أن يميزوا بين تقى وفاجر ، بين مؤمن خاشع ومنافق دجال .

والمعاملات ، تنظيم للحياة العملية ، وضبط العلاقات بين الأفراد فى المجتمع بما يكفل العدل ، والإحسان والأمن ، وتكافؤ الحقوق والواجبات ، وصيانة الحرمات الخاصة والعامة بأحكام الشرع .

وأحكام القصاص فى القتل والتشويه والجروح ، تأمين لحياة الجماعة ، وحدود الشرع فى مثل عقوبة الزنا والإفك وشرب الخمر ، حماية للجماعة من شر المجرمين والمنحرفين من أفرادها وردع عن الفساد فى الأرض [٨].

وقد بذل علماء الفقه والتشريع جهودا مرموقة فى سبيل التوصل إلى معايير يمكن من خلالها التمييز بين ماهو هام وأساس للمجتمع ، وما غير ذلك ، ولذلك ميز الفقهاء بين مستويات ثلاثة للمصالح الاجتماعية فى الإسلام ، هى [٩]:

أ – الضروريات : وهى تشمل كافة الأفعال والأشياء التى تتوقف عليها صيانة الأركان الخمسة للحياة الفردية والاجتماعية الصالحة بنظر الإسلام ، وهذه الأركان : الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال ، ويمكن الإشارة إلى الأفعال التى لابد منها هنا فيما يلى :

– إقامة الواجبات الإسلامية الأساسية مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج ، الخ .

– ما يتصل بحرمة النفس الإنسانية مثل إباحة إيجاب الأكل والشرب والملبس ..

– تحريم الخمر وما ماثلها مما يغيب الوعى ويعطل عمل العقل .

– مؤسسة الزواج وما يتصل بها من أحكام وقواعد .

- حماية المال بمعناه الواسع وتحريم إتلافه وتحريم العدوان على أموال الأخريين .

- الجهاد للدفاع عن الأهداف السابقة .

ب- الحاجيات : وتشمل الأفعال والأشياء التى لا تتوقف عليها صيانة تلك الأركان الخمسة ولكن تتطلبها الحاجة لأجل التوسعة ورفع الحرج . وتحسن الإشارة إلى أن وسائل العيش وصوره قد تحول بعض الأعمال أو الأشياء من صنف لآخر .

ومن الأمثلة التى يمكن أن تساق لهذه الفئة : اكتساب المعرفة وتشجيع التربية والتعليم وتنمية الثروة العامة والخاصة ، وطباعة الكتب المتعلقة ببعض الضروريات .

جـ- التكميليات : وتشمل الأعمال والأشياء التى تتجاوز حدود الحاجيات، أو بعبارة أدق تشمل الأمور التى لا تتحرج الحياة ولا تصعب بتركها ولكن مراعاتها مما يسهل الحياة أو يحسنها أو يجملها ، ومن أمثلتها :

الأعمال المتصلة بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، وتحسين نوعية العمل والإنتاج [١٠] .

إن القرآن الكريم لا ينظر إلى الإنسان فردا وهو يأمره بالعدل والإحسان والبر وصلة الرحم وأداء الأمانات إلى أهلها والوفاء بالعهد والصدق والتواضع ، وينهاه عن العقوق والجور والبغى والفجور وقطع الأرحام ، وعن المن والرياء والأذى والفساد .

إن مثل هذه الأوامر والنواهى ، لا تتعلق بتعامل الإنسان مع نفسه ، وإنما هو التعامل مع الناس ، فليس الإنسان بحيث يبر ويعف ويفى ويصدق ويصلح ،

أو يخون ويفسق ويعق ويظلم ويزور ويعتدى ويطغى فى نطاق فرديته الخاصة [١١] .

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ،وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة النحل ٩٠-٩١) .

-﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (سورة النساء ٥٨) .

- ﴿ لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً . وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (سورة الإسراء ٢٢- ٢٤) .

- ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً. وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾ (سورة الإسراء ٣٢ -٣٤) .

- ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ (سورة الإسراء: ٣٧).

أما السنة النبوية فهى أيضا مليئة بالشواهد المؤكدة على تلك الحقائق .

الإسلام يحدث ثورة معرفية :

إن كثيرا من الناس ينسون – أو يتناسون – أن القرآن الكريم قد أحدث ثورة ثقافية عارمة لم يشهد لها الناس مثيلا لا من قبل ولا من بعد . لقد أنقذت هذه الثورة البشرية من الفرقة والانقسام ، ومن الظلم والبغى والعدوان ، ومن التخلف الثقافى الذى عقد الحياة وخلق فيها الكثير من المشكلات . (١١)

ويصور بعض المفسرين للقرآن الكريم عملية الإنقاذ هذه فيقولون :

هدى الله بهذا القرآن العرب ، وهدى بدعوتهم إليه أعظم شعوب العجم ، فكانوا به أئمة الأمم ، فبالاهتداء به قهروا أعظم دول العالم المجاورة لهم ، ثم فتحوا الكثير من ممالك الشرق والغرب حتى استولوا على بعض بلاد أوربا وألفوا فيها دولة عربية ، دولة كانت زينة الأرض فى العلوم ، والفنون والحضارة ، والعمران .

كما يقولون أيضا : صلحت أنفس العرب بالقرآن إذ كانوا يتلونه حق تلاوته ، فرفع أنفسهم وطهرها من خلاقات الوثنية المذلة للنفوس المستعبدة لها ، وهذب أخلاقها وأعلى هممها وأرشدها طلبه إلى العلم بسنته تعالى فيه من : أسباب القوة والضعف والغنى ، والعز والذل وهداها ذلك إلى العلوم والفنون ، والصناعات ، فأحيت مواتها وأبدعت فيها ما لم يسبقه إليه غيرها . (١٢)

ومن الأدوات الهامة التى استطاع بها الإسلام أن يفعل ذلك ، تلك المكانة الرفيعة التى احتلتها المعرفة فيه وما أحدثه فيها من ثورة تمثلت فيها أبعاد الثورة من حيث الشمول والجذرية والسرعة . ومن هنا حق للغزالى أن يؤكد أن أشرف الصناعات بعد النبوة " إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم " . (١٣) وهو يستند فى ذلك إلى أن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور:

إما بالالتفات إلى الغريزة التى بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية ، إذ تدرك الحكمة بالعقل ، واللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع ، وإما بالنظر إلى عموم النفع ، كفضل الزراعة على الصياغة ، وإما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة إلى الدباغة ، إذ محل أحدهما الذهب ، ومحل الآخر جلد الميتة . وليس يخفى أن العلوم الدينية – كما يرى الغزالى – وهى فقه طريق الأخرة ، إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء ، والعقل أشرف صفات الإنسان . وأما عموم النفع ، فلا يستراب فيه ، فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة . وأما شرف المحل ، فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم ، وأشرف موجود على الأرض جنس الأنس .

وإذا كان كلام الغزالى يكاد ينصرف إلى العلوم الدينية وحدها ، ويكاد يحصر الهدف فى الآخرة ، إلا أننا سنتبين من خلال الصفحات التالية ، أن المعلم المطلوب فى الإسلام متعدد الآفاق ، متباين المجالات ، وأن الطريق إلى الآخرة لابد أن يمر بالدنيا .

كذلك نجد ابن خلدون يبرز خاصية هامة فى خلق الإنسان ، وهى الخاصية المعرفية ، فهو إذا كانت جميع الحيوانات قد شاركته فى كثير من الجوانب ، إلا أنه " تميز عنها بالفكر الذى يهتدى به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه ، والاجتماع المهئ لذلك التعاون وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى ، والعمل به واتباع صلاح أخراه ، فهو مفكر فى هذا كله ، دائما لا يفتر عن الفكر طرفة عين ، بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر ، عن هذا الفكر تنشأ العلوم و .... الصنائع ، ثم لأجل هذا الفكر وما جبل عليه الإنسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه الطباع فيكون الفكر راغبا فى تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات فيرجع إلى من سبقه بعلم ، أو زاد عليه بمعرفة فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعمله " . (١٤)

وإنه ليسترعى الانتباه ، أن القرآن الكريم يزخر بمئات الآيات التى تشيد بالعلم وتحض على التفكير وتسخر بالجهل وتبطل العقل ، وحسبنا أن نمثل بهذه الكلمات ومشتقاتها : (١٥)

- فقد جاءت مادة العلم مرادا بها علم الناس لا علم الله فى نحو ستمائة آية .

- والرأى بمعنى العلم فى نحو ثمانين .

- والنظر بمعنى العلم فى نحو ثلاث وعشرين .

- والإبصار بمعنى العلم فى نحو ثلاث وعشرين .

- وترددت مادة العقل فى تسع وأربعين .

- والقلب بمعنى العقل فى مئة وثلاث وثلاثين .

- والنهى بمعنى العقل فى ثنتين .

- والفؤاد بمعنى العقل فى ست عشرة .

- والألباب بمعنى العقول فى ست عشرة .

- ووردت مادة الفكر فى ثمانى عشرة .

- وتكررت مادة الفقه بمعنى الفهم فى عشرين .

- والتدبر فى أربع .

- والفهم فى واحدة .

- والرشد فى تسع عشرة .

- والذكر فى نيف ومائتين .

- والحكمة فى عشرين . - والعبرة فى سبع .

- وذكرت مادة القراءة فى سبع عشرة . - والتلاوة فى ثنتين وستين .

- والكتابة بمعنى الخط فى نحو ثلاث مئة . - والعلم فى أربع .

- والصحف فى ثمان . - والسطر ومادته فى خمس .

- والدرس ومادته فى ست .

الخبرة كمصدر أساسى للمعرفة :

وإذا كان الفلاسفة قد انقسموا إلى فئتين بصدد القضية الخاصة بطبيعة المعرفة ومصدرها، بحيث ذهبت أولاهما إلى القول بـــ (فطريتهـا) مثـل أفلاطون وذهبت ثانيتهما إلى اعتبارها (كسبية) مثل بيكون وهيوم ، إلا أننا نجد الإسلام يؤكد على الجانبين معاً . فحينما عرض القرآن الكـريم لعـلاج هـذه المشكلة ، فرق بين أمرين هامين هما : المعرفة الخارجية ، والاستعداد الذاتى ، فالمعرفة الخارجية هى المعارف المستفادة التى تنفذ إلـى الفكـر مـن العـالم الخارجى (الخبرة) . والاستعداد الذاتى هو التكيف الطبيعى للتجاوب مع هـذه المعارف الوافدة وتلوين هذه المعارف بما يتلاءم مع الاستعداد الفطرى للإنسان (١٦) .

والمعرفة المستمدة من الخبرة هى صورة الكون التى تنفذ إلى العقل عن طريق الحواس وتتلون فيه بحسب الطريق الذى تجتازه من العـصب الحـسى وبحسب التكوين الطبيعى للعقل ولما كانت وسائل المعرفة بصفة أساسية هـى الحواس والعقل ، فمن المسلم به إنها لا يمكن أن تؤدى وظيفتها إلا بعد إتمـام خلقها . أما الاستعداد الذاتى ، فيتم مع عملية الخلق نفسها ، ولهذا أعلن القرآن الكريم بصراحة تامة ، أن المعرفة الخارجية لا سبيل إليها قبل الولادة بأى حال

من الأحوال ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(سورة النحل :٧٨).

فالله جلت قدرته يبدأ خلق الجنين فى خليته الأولى ثم يطوره من حال إلى حال ، ثم ينشئه خلقاً سوياً آخر : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (سورة المؤمنون ١٢، ١٣، ١٤) . وفى هذه المراحل كلها ، لا يمكن أن يكون الجنين شيئاً ذا بال ، فضلاً عن أن تكون له معرفة طبيعية فطرية ، قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإنسان حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (سورة الإنسان : ١-٣) .

وقد أخبرنا الله سبحانه بما للبيئة من آثار عميقة ، فقال جل شأنه :﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(سورة الأعراف: ٥٨) ونوه سبحانه بفضل الأماكن على بعضها الآخر فأشاد بفضل مكة وبيت المقدس وسيناء ، وهى مهابط الأنبياء فقال جل شأنه :﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾(سورة التين ٢-٦). ولأرض التين والزيتون هى بيت المقدس أو أرض فلسطين ، وفيها يقول تعالى :﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (سورة المائدة: ٢١) ويقول جل شأنه :﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ (سورة الإسراء : ١) .

ومنَّ الله على أهل مكة بحرمها الأمين ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا ﴾ (سورة القصص: ٥٧).

كذلك نجد ابن مسكويه ، بجانب إقراره بالأساس الفطرى ، ينادى بالأساس الخبرى ، ويتضح هذا من قوله إن الطباع المذمومة التى يولد بها الإنسان ليست لها صفة الجبرية أو الإلزام بل إنها قابلة للتعديل والتحوير ، ومن هنا تبرز فى نظر ابن مسكويه أهمية التربية الخلقية للأطفال ، إذ أن الطباع لو أهملت ، ولم ترض بالتأديب والتقويم ، نشأ كل إنسان على طباعه ، وبقى عمره كله على الحال التى كان عليها فى طفولته . (١٧)

والتربية الأخلاقية أمر هام وخطير فى نظر ابن مسكويه ، فإن الإنسان إذا علم مثلاً أن الشهوات الرديئة ليست فضائل بل رذائل تجنبها ، وكره أن يوصف بها ، وإذا ظن أنها فضائل ، لزمها وصارت له عادة ، بل أن السعادة عنده لا يرتقى إليها الإنسان إلا بعد أن يعلم أجزاء الحكمة كلها . ومن ظن من الناس أنه يصل إليها بغير تلك الطريقة وعلى غير ذلك المنهج ، فقد ظن باطلاً ، وبعد عن الحق بعداً كثيراً . وليتذكر فى هذا الموضع الخطأ العظيم الذى وقع فيه قوم ظنوا أنهم يدركون الفضيلة بتعطيل القوة العالمة وإهمالها . (١٨)

ولا يعنى هذا أن ابن مسكويه يردد المبدأ السقراطى : الفضيلة معرفة ، والرذيلة جهل ، بل يضيف إلى المعرفة شرطاً آخر هو الإرادة ، إذ ليس فى معرفة الفضائل الكفاية ، بل الكفاية، العمل بها ، والعمل يصدر عن الإرادة والاختيار .

إنسانية المعرفة :

ولان من شروط (الاجتماع) الذى عليه مدار البحث ، أنه (إنسانى) بالطبيعة يصبح الركن الأساسى لاجتماعية المعرفة هو مدى ما يمثله (الإنسان) من قيمة تدور حولها الأعمال المختلفة.

لقد أراد الله للإنسان أن يكون خليفته فى الأرض ، فمنحه القدرة العقلية على التعلم ، والمقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والإبداع ، والإرادة (الحرة) لاختيار أسلوب الحياة التى يقوده إليها فكره ودوافعه النفسية والجسدية ، ولكى يحس الإنسان (بالدونية) ولا تدور فى خاطره أية فكرة عن (سلبية) دوره فى العالم ، رفعت مكانته إلى أعلى مصاف وطلب من الملائكة أن يسجدوا له .. وتلك هى أسس تقود ولا ريب إلى تصور دور الإنسان فى العالم كقوة فاعلة مفكرة مريدة ، منفذة مستقلة ، مفضلة .. الأمور التى لابد منها لأى إبداع حضارى على الأرض . (١٩)

ولابد من الإشارة هنا إلى أن مسألة (الاستخلاف) تتكرر أكثر من مرة فى القرآن الكريم الأمر الذى يؤكد مدى ثقلها فى تصميم الهيكل الحضارى للرؤية الإسلامية ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾(سورة فاطر: ٣٩).

و﴿ قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾(سورة الأعراف: ١٢٩).

و ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة يونس: ١٤). و﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة النور : ٥٥) .

لقد تمثل وحى الله للإنسان فى آيات مكتوبة وآيات غير مكتوبة . الآيات المكتوبة نقرأها فى الكتب المقدسة التى توجها واختتمها القرآن الكريم ، والآيات غير المكتوبة نقرأها فى الكون والطبيعة والتاريخ والإنسان . والإنسان آية الله ومعجزته الكبرى .

ويتعرف الإنسان إلى الله فى بدائع خلقه أى فى إبداعيته ، وتعرف الإنسان على إبداعية الله هو دليل على عقلانية الإنسان وإبداعيته ، فلو لم يكن الإنسان عقلانياً ، لما استطاع التعرف على الخالق المبدع ، ولما تمكن من التواصل معه . أن وحى الله فى كتابه يوقظ فى الإنسان عقلانيته . إن القرآن الكريم يصف الوحى بأنه تذكرة . إنه تذكرة للإنسان من حيث هو إنسان. إنه كتاب الله للإنسانية جمعاء لا للعرب وحدهم ، وهذا الخطاب للإنسان من حيث هو إنسان للإنسانية فى كل زمان ومكان يعبر عن النزعة (الإنسية) العامة فى كتاب الله تعالى . (٢٠)

وإذا كان الله عز وجل قد استخلف الإنسان على الأرض ليقوم بتعميرها واستثمارها، وإذا كان كل ما خلق الله إنما هو مسخر للإنسان ، فإن الإنسان لا يمكن أن يقوم بواجب الخلافة إلا بقدر ما يتزود به من العلم والحكمة . ومن البصر والخبرة . ومن هنا نجد القرآن يتجه دائماً إلى تنوير الإنسان ليجعل منه الإنسان القادر على إعمار هذا الكون والصالح لممارسة الحياة فى أية مرحلة من المراحل التى تمر فيها هذه الحياة . (٢١)

وهذا الذى أعلنه القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام هو الذى انتهى إليه المحدثون اليوم . إنهم يقولون لنا : أن التنمية إنما تبدأ بالإنسان لتنتهى إلى الإنسان ويعنون بذلك أن الإنسان إنما ينمى من أجل صنع التنميات الأخرى ، وأن حصيلة هذه التنميات الأخرى إنما تكون لصالح الإنسان ، فهو الذى يجنى ثمارها . وقريب من هذا يقوله المفسرون للقرآن الكريم .

إنهم يقولون : الإنسان سيد هذه الأرض ، وصلاحها وفسادها منوطان بصلاحه وفساده، وليست الثروة ولا وسائلها من : صناعة وتجارة وزراعة ، هى المعيار لصلاح البشر ، ولا الملك ووسائله من القوة والسياسة ، إن البشر هم الذين أوجدوا كل وسائل الملك والحضارة من علوم وفنون وأعمال ، بعد أن لم تكن ، فهى إذن نابعة من معين الاستعداد الإنسانى تابعة له ، دون العكس . [٢٢] يقول تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ (سورة النحل: ١٢).

و ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ ﴾ (سورة الحج:٦٥) .

وثمة سؤال ملح يفرض نفسه هنا : لماذا ترك الإنسان – على المستوى الطبيعى – يجهد نفسه ويبتكر ويكشف ويطور ، بينما ألزم – على المستوى العقائدى الدينى – بالاعتماد الكلى على تعاليم السماء ؟ [٢٣]

فى مجال الطبيعة والأشياء ، لم يشأ الله سبحانه أن يكشف للإنسان عن قوانينها لأن هذا يعنى إهمالا لطاقات الإنسان الخلاقة ، وقدرتها على الفعل والكشف والابتكار ، ولو حدث أن وجد الإنسان نفسه فجأة أمام تكشف النواميس الطبيعية على حقيقتها ، لألغيت – إذن وبشكل محتم – جل قدرته ومحاولاته الإبداعية ، ولأسلم نفسه لكسل فكرى واتكالية لم يرد الله للإنسان أن يقع فى إسارها . أما العقيدة والمنهج والقيم الخلقية ، فهل كان من المنطق أن

تظل غامضة ، وأن يسعى الإنسان من نفسه للكشف عنها ؟ إن هذه القيم وتلك العقيدة ، وذلك المنهج ، ما دام يرتبطان أساساً بالعالم الأوسع ، ويمتدان إلى ما وراء الحس الظاهر للعيان ، وما داما ينأيان دائماً عن رؤية الإنسان المباشرة وحركته النسبية وحريته المحدودة ، ونسبيته الحسية ، فليس من السهل عليه إذن أن يترك وحده للسعى وراء أهداف لم يتهيأ للكشف عنها . (٢٤)

إن تجربة (الصواب والخطأ) تغدو مجدية فى مجال التعامل مع الطبيعة لأنها ستعلم الإنسان دوماً طرائق جديدة ، أو تمنحه ابتكاراً جديداً ، وما منجزات الغرب التقنية المعاصرة سوى (تراث) بشرى أسهمت فى صنعه وبنائه وتطويره معظم أمم الأرض وشعوبها بعد أن مارست كثيراً من الصواب والخطأ ، ومازال العلم إلى الآن ينفى بتجربته ما أثبته بالأمس، ويثبت ما سوف ينفيه غدا ، ولكن هذا النفى والإثبات ، وهذه الظنية التى تحكم ميادين النشاط العلمى لم تؤثر فى يوم الأيام على التطور المستمر لمختلف الإنجازات (المدنية) .

أما فى المجال العقيدى والدينى ، فلا يمكن للإنسان أن يمارس تجربة الصواب والخطأ لأن هذه ستكون على حساب كينونته ووقته وجهده ومصيره فى نهاية الأمر ، ولأنها – وهذا هو المهم – لن تقدم له (الصواب) المطلق الذى لا خطأ بعده فى يوم الأيام ، ذلك أنه لا يملك (الوسائل) التى تمكنه من بلوغ هذا الصواب وتمحيصه على السواء . (٢٥)

دور الصفوة المفكرة فى الهداية والإصلاح :

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(سورة التوبة: ١٢٢). ودراسة هذه الآية تظهرنا على أن المطلوب هو خروج طائفة أو فئة أو

مجموعة من الأفراد من كل وحدة سكنية ، أو تجمع بشرى أو فرقة ، تخرج من عند نفسها أو باختيار الآخرين لها الشروط التى توضع لهذا الاختيار ، تخرج هذه المجموعة من أجل التفقه فى (الدين) ، والتفقه فى الدين هنا لا يعنى أبدا دراسة هذه الكتب الفقهية فقط ، إذ لم يكن لمثل هذه الكتب وجود فى زمن النبى عليه الصلاة والسلام .

إن التفقه هنا لا يكون إلا فى النظام الإسلامى الذى يدعو إليه النبى العظيم مستندا فى دعوته إلى ما ينزل عليه ويوحى إليه من قرآن كريم .

التفقه هنا ليس إلا العلم الدقيق والفهم الواضح لكل هذا الذى يدعو إليه القرآن الكريم . [٢٦] من أجل هذا الدور القيادى التنويرى للصفوة المفكرة العالمة المتعلمة ، أفاض القرآن الكريم فى مدحهم والإعلاء من شأنهم . وحسب العلماء تقديرا أن الله تعالى قرنهم بالملائكة فى الإقرار بواحدانيته وعدله لأنهم هم الذين يفكرون فيهديهم تفكيرهم إلى الحق ، وهم الذين يستطيعون أن يثبتوا بالأدلة ما يجب لله تعالى من صفات الكمال ، وما يتنزه عنه من صفات النقيض ، [٢٧] قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران: ١٨) . والعلماء هم الذين يخافون الله ويقدرونه حق قدره ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفَاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(سورة فاطر: ٢٧-٢٨).

ولهذا جعل الله سبحانه العلم من أسباب التفوق والامتياز والجدارة بالريادة والرياسة يتضح هذا من أن بنى إسرائيل طلبوا بعد موسى عليه السلام من نبيهم يوشع أو شمعون أو اشمويل أن يبعث للقتال معهم أميرا يقودهم فى

الحرب ، ويأتمرون بأمره ، فقال لهم إننى أتوقع جبنكم فى القتال ، فقالوا : وكيف نجبن ، وقد طردنا من ديارنا وبعدنا عن أبنائنا يريدون أن قوم جالوت الذين كانوا يسكنون ساحل البحر الأبيض المتوسط بين مصر وفلسطين قد أسروا عدة مئات من بنى إسرائيل . (٢٨)

ثم صح ما توقعه نبيهم ، فإنهم بعد أن فرض عليهم القتال ، فروا إلا قليل منهم وقال نبيهم إن الله بعث لكم طالوت ليكون ملكاً ، فأنفوا أن يتملك عليهم وهو فقير لابد للملك فى نظرهم من أن يكون غنياً ذا مال كثير ، وزعموا أنهم أحق بالملك منه فقال لهم نبيهم أن الله قد اختاره ، وهو أعلم منكم بما يصلحكم وليس لأحد أن يعارض اختيار الله ، وقد منح طالوت قوة فى الجسم ، وسعة فى العلم ، سواء كان علم الدين أم علم الحرب أم هما معاً ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، وهو سبحانه واسع الفضل والعطاء ، ومعنى هذا أن العلم من أسباب الامتياز والعلاء .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٤٧) .

من أجل هذا حرص علماء التربية المسلمين على أن يرسموا لهذه الفئة الجليلة خطوات السير الصحيح إيماناً بأنهم رأس الأمة ، إذا صلح الرأس ساعد ذلك على صلاحية الجسد كله، وهذا ما عرف فى الأدب التربوى الإسلامى ب (آداب المعلمين) ، مع ضرورة التنبه إلى ذلك الترادف الذى قام بين (العلماء) و (المعلمين) فى أغلب الأحوال ، والاستثناء الوحيد هو معلمو الكتاتيب الذين كان من الصعب وصفهم بالعلماء .

ويطول بناء المقام لو حاولنا ضرب الأمثلة بما ساقه التربويون من آداب يجب أن يتحلى بها العلماء ولذلك سنقتصر على واحد منهم فقط هو أبو بكر الآجرى أحد علماء بغداد فى القرن الرابع الهجرى ، إذ كتب كتابا خصصه لموضوع (أخلاق العلماء) ذكر منها : [٢٩]

١- أن يسعى دائما فى طلب العلم حيث إنه يعلم أن الله فرض عليه عبادته ، " العبادة لا تكون إلا بعلم " .

٢- أن يحرص على مخالطة ثلاثة : إما رجل يتعلم منه خيرا إن كان أعلم منه ، أو رجل هو مثله فى العلم فيذاكره العلم لئلا ينسى ما لا ينبغى أن ينساه ، أو رجل هو أعلم منه فيعلمه .

٣- إذا وقف موقف المتعلم فعليه أن يجالس أساتذته بأدب وتواضع ويسألهم برفق ولا يضجرهم فى السؤال ، وأن يعترف بفضلهم عليه ، وإن غضبوا عليه لم يغضب منهم ، وعليه ألا يناظرهم مناظرة من يريهم أنه أعلم منهم ، وإنما غايته البحث لطلب الفائدة منهم .

٤- فإذا اشتهر بأنه من أهل العلم ، واحتاج الناس إلى ما عنده من علم ، ألزم نفسه التواضع للجميع ، العلماء وغير العلماء . فأما تواضعه لمن هم مثله فى العلم فلأنه يؤدى إلى محبة تثبت له فى قلوبهم فتجعلهم يحبون قربه ، وإذا غاب عنهم حنت إليه قلوبهم ، وأما تواضعه للعلماء الذين هم أعلى منه فى العلم ، فهو أمر واجب عليه ، لأن العلم يقتضى ذلك . وأما تواضعه لمن هو دونه فى العلم ، فلأن شرف العلم له عند الله وعند أولى الألباب .. إلى غير ذلك من صفات .

ولعل أحد الأسباب الرئيسة لأزمة الشباب المسلم فى الوقت الحاضر ، افتقاده لمثل هذه الفئة الصالحة من العلماء والمفكرين ، فقد أصبح كثير من (

العلماء الكبار) أدوات فى يد السلطان ، إن شاء أن ينطقوا بما يريد من شأن نطقوا وأفصحوا ، وإن شاء أن يصمتوا حيث يجب البيان ، ويحرم الكتمان ، فعلوا ، والساكت عن الحق كالناطق بالباطل كرهما شيطان ينبت الفساد . (٣٠) دعى أحد العلماء اللامعين إلى ندوة تلفزيونية فى أحد الأقطار ، تدور المناقشة فيها حول موضوع (تحديد النسل) فى نظر الشريعة الإسلامية ، وكانت دهشة الرجل المكلف بإدارة الندوة بالغة حين قال هذا العالم له : هل تهدف الندوة إلى تأييد التحديد أو معارضته حتى أهيئ نفسى ؟!

ورحم الله العلماء السابقين الذين قال أحدهم للباشا : إن الذى يمد رجله لا يمد يديه ، وليت هؤلاء حين قل زادهم من اليقين والتقوى ، كثر زادهم من العلم والفقه ، كلا لقد احتك الشباب الحريصون على التفقه فى دينهم بكثير من العلماء اللامعين فى سماء الخطابة أو الكتابة ، فلم يجدوا لهم قدما راسخة فى علم الكتاب والسنة ، ووجدوا ما عندهم من العلم لا يشفى غِله ، ولا ينفع غُلة .

ارتباط المعرفة بالعمل :

كذلك تتبدى (اجتماعية المعرفة) فى الإسلام فى تلك العروة الوثقى التى حرصت عليها مصادر التربية الإسلامية وأصولها بين المعرفة والعمل بتأكيدها وإبرازها . إن يوم الحساب هو يوم العدل ، وعمل الإنسان لا ماله هو ميزان الحساب وميزان العمل ، ولا يحاسب الإنسان على ما يكون ولا على ما يملك ، وإنجازه العلمى أهم من غناه المادى . (٣١)

إن للعمل مدلوله الدينى الخلقى فى القرآن الكريم ، ولكن الإنسان العامل المنتج تفوق منزلته منزلة الإنسان غير العامل وغير المنتج ، وترفع بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم العمل فوق العبادة ، ويروى أنه عليه السلام شاهد ذات يوم وهو فى جمع من صحابته شابا يهرع فى الصباح الباكر

إلى عمله ، فتساءل بعض الصحابة عما إذا كان الأولى بمثل هذا الشاب أن يبكر إلى الصلاة أم إلى العمل ؟ فناشدهم عليه السلام أن لا يلوموه على ما يفعل ، لأنه يبذل الجهد ليتقى الحاجة ، وليلبى حاجة عائلته ، فهو فى هذا على صراط الله المستقيم .

إننا نقرأ فى كتاب الله الدعوة الشاملة للعمل ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة التوبة: ١٠٥). ونستمع إلى الرسول المعلم عليه الصلاة والسلام وهو يناديا (إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر) ، من عرف جيدا كيف إن الدور الحضارى للإنسان المسلم يقوم على العمل والإبداع المتواصلين منذ لحظة الوعى الأول حتى ساعة الحساب ،ونعلم تماما كيف أن الحياة الإسلامية إنما هى فعل إبداعى مستمر [٣٢] .

ويبلغ من تأكيد القرآن على العمل والجهد البشرى لإعمار العالم ، أن ترد اللفظة بتصريفاتها المختلفة فيما يزيد على الثلاثمائة والخمسين موضعا ، وهى كلها تشير – سلبا وإيجابا – إلى أن المحور الأساس لوجود الإنسان فردا أو جماعة ، على الأرض هو العمل الذى يتخذ مقياسا عادلا لتحديد المصير فى الدنيا والآخرة ، وهو (موقف) ينسجم تماما مع فكرتى (الاستخلاف والتعمير) على الأرض .

وعندما عدد الغزالى الوظائف التى ينبغى أن يقوم بها المعلم المرشد ، جاء من ضمنها أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد ، وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا

أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر بـه . ومثـل المعلـم المرشـد مـن المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود ، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ؟ ولذا قيل فى المعنى :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾(سورة البقـرة: ٤٤) ، ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكثر من وزر الجاهـل ، إذ يـزل بزلته عالَم كثير ويقتدون به ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ، ولذلك قال على رض الله عنه : قسم ظهرى رجـلان : عـالم متهتـك، وجاهل متنسك ، فالجاهل يغر الناس بتنسكه ، والعالم يغرهم بتهتكه .

وفى رسالة (أيها الولد) يؤكد الغزالى أيضا على ضرورة ربط المعرفة بالعمل ، فنصح المتعلم قائلا : [٣٣] .

" لا تكن من الأعمال مفلسا ، ومن الأحوال خاليـا ، وتـيقن أن العلـم المجرد لا يأخذ إليه مثاله ، لو كان على رجل برية عشرة أسياف هنديـة مـع أسلحة أخرى ، وكان الرجل شجاعا وأهل حرب ، فحمل عليه أسد مهيب ، فما ظنك ؟ هل تدفع الأسلحة شره منه بلا استعمالها أو ضربها ؟ ومن المعلوم أنها لا تدفع إلا بالتحريك والضرب ، فكذا لو قرأ رجل (مائة ألف) مسألة علميـة وعلمها وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده إلا بالعمل ، ومثله لو كان لرجل حرارة ومرض صفراوى يكون علاجه ... (بكذا) .. (فـلا يحـصل) البـرء إلا باستعمالها .. ولو قرأت العلم مائة سنة وجمعت ألف كتاب ، لا تكون مـستعداً لرحمة الله إلا بالعمل ، كما قال الله تعالى في سورة النجم (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْـسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩)) ، "(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـالِحًا وَلَـا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)) سورة الكهف ، (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)

) سورة التوبة ،(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧))سورة الكهف ،(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠))

أما ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ فقد كتب فى رسالة بعنوان (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) ينصح ابنه [٣٤] :

" اعلم يا بنى – وفقك الله – أنه لم يميز الآدمى بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه .. إنك مخلوق مكلف ، وإن عليك فرائض أنت مطالب بها " .

إن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين ، ولكن الفضائل تتفاوت باختلاف الناس ، فمنهم من يرى الفضائل فى الزهد فى الدنيا ، ومنهم من يراها التشاغل بالتعبد ، وفى رأى ابن الجوزى أن الفضائل الكاملة ليست إلا الجمع بين العلم والعمل ، فإذا حصلا ، دفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وحركاه إلى محبته والشوق إليه . إن بلوغ الغاية القصوى – وهى رضى الله – فى نظر ابن الجوزى – ليس سهل المنال ، فليس كل مريد مراداً ، ولا كل طالب واجداً ، ولكن على قدر العزم تأتى العزائم ، وعلى العبد الاجتهاد " وكل ميسر لما خلق له " .

الوظيفة الخلقية للمعرفة :

وإذا كانت المعرفة قد جاءت فى مواضع كثيرة من القرآن بلفظ (العلم) ، إلا أن المصطلح الأنسب لمضمونها الإسلامى هو (الحكمة) ، وذلك لارتباطها بضرورة تحقيق مهام خلقية فى سلوك العارفين ، إذ ليس كافياً أن ترتبط دائماً ب (العمل) كما قدمنا ، ذلك أن (العمل) من الاتساع بحيث

يشمل كل سلوك ، ومن هنا كان حرصنا على أن نفرد للوظيفة الخلقية جـزءاً خاصاً ، خاصة وأن العمل فى كثير من الأحيان يرد فى القرآن مقروناً بـــ (الصالح) .

ونحن إذا نظرنا إلى معنى الحكمة وجدنا آراء مختلفة ، فقد ذكر القرطبى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِـيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(سورة البقرة: ٢٦٩) المعانى الآتية :

(الإصابة فى القول والعمل . حكمة العقل فى الدين . معرفة بـدين الله والفقه فيه والإتباع له أصل الحكمة ما يمتنع به عن السفه) [٣٥] .

وذكر ابن كثير عند تفسير الآية السابقة المعانى الآتية : المعرفة بالقرآن ، العلم والفقه والقرآن ، خشية الله ، العقل . وقال ابن كثير بعد ذلـك ، وقـال السدى ، الحكمة النبوة ، والصحيح كما قال الجمهور أن الحكمـة لا تخـتص بالنبوة ، بل هى أعم منها وأعلاها النبوة .

وفسرها أحد علماء اللغة بأنها " معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلـوم " ، وذكر التهانوى فى كتابه كشف اصطلاحات الفنون كثيراً من المعـانى لكلمـة الحكمة أهمها أنها : علم الحكمة وتشمل بيان الحكمة العملية من الحكمة الخلقية والحكمة السياسية والمدنية وبيان الحكمة النظرية ومنها معرفـة الحـق لذاتـه والخير لأجل العمل به والتكاليف الشرعية [٣٦] .

ومن تلك المعانى المهمة التى ذكرها التهانوى أيضاً ، فائـدة ومـصلحة تترتب على الفعل ومنها أخيراً المعنى العلمى " وهو علم بما يكـون وجـوده بقدرتنا واختيارنا " ، والحقيقة أن الحكمة تتضمن معظم تلك المعانى التى ذكرها العلماء ، ولكن المعانى التى نختصها بالذكر هنا هى أن الحكمة علم على العلم الذى يتناول معرفة قيم الأشياء وقيم المبادئ الإسلامية ومعرفة ما هـو ممكـن

تحقيقه وما هو غير ممكن تحقيقه بقدرتنا واختيارنا، ومعرفة أسرار الموجودات والمقاصد من إيجادها وخلقها على ذلك النحو دون آخر . وأشار الغزالي باستفاضة إلى ما تؤدى إليه المعرفة من الاستقامة الخلقية فقال أن المتعلم عندما يمتص العلوم يكتسب بذلك قوة تمكنه من التغلب على رغباته الغريزية ، فالنفس البشرية فى رأى علماء المسلمين ، مسايرين فى ذلك فلاسفة اليونان ، مكونة من قوى مختلفة " كقوة التمييز أو النطق، والقوة الغضبية التى تدفع إلى الغضب والنجدة والإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلط والترفع وضروب الكرامات والقوة الشهوية التى تظهر فى طلب الغذاء وضروب اللذات الحسية ، وهذه القوى الثلاث متباينة تقوى إحداها وتضعف بحسب المزاج والعادة والتأديب " . فالقوة الناطقة تقوى بالعلوم والتجارب ، إذ أن ذلك يكسبها عقلاً يؤدى إلى قمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ، فالطبيب قد يكون أقدر على الاحتماء من بعض الأطعمة الضارة بسبب علمه بخواص الأطعمة ، وقد لا يقدر من يساويه فى العقل على ذلك إذا لم يكن طبيباً وإن كان يعتقد على الجملة فيه المضرة ، ولكن إذا كان علم الطبيب أتم ، كان خوفه أشد، فيكون الخوف جنداً للعقل وعدة له فى قمع الشهوة وكسرها ، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصى ، وأعنى به العالم الحقيقى (٣٧) .

ويستعين إخوان الصفا بالأمثلة والتشبيهات لتأكيد وظيفة المعرفة فى إكساب السلوك الاستقامة الخلقية ، فشبهوا الروح فى أثناء إقامتها بالجسد بنمو الجنين فى الرحم فكما أن الجنين لا يخرج إلى الوجود حتى يكمل نموه ، فكذلك الروح تقوى نواحى قدرتها المختلفة وتكتسب تماسكاً مدة إقامتها بالجسد ، ففى تلك الفترة تنشط قوى الروح الكامنة بتأثير اكتساب المعرفة وممارسة الفضيلة ، وهذا النمو لا يتحقق إلا عن طريق الجسد ، وهكذا عندما يحل الوقت الذى فيه تغادر الروح الجسد ، تكون قد وقفت على سر بدايتها ونهايتها وأتمت مرحلة نموها ، وعندئذ يمكنها أن تستأنف حياتها منفصلة عن المادة وتتحرر من

قيودها فتحلق فى السموات الواسعة حرة طليقة حتى تتصل فى النهاية بالحقائق الروحية والأجسام النورانية . أما إذا لم تتم الروح فى أثناء إقامتها بالجسد بسبب حرمانها من العلم فهى تصبح عاجزة كالطفل الذى لا يكتمل نموه فيحرم من الاستمتاع بالحياة الكاملة ، إذن فبدون القوة والتماسك عن طريق العلم وممارسة الفضيلة لا تتمكن الروح من الصعود إلى الملكوت الأعلى ، ويرى إخوان الصفا أن العلوم الدينية لا تنفرد بتحقيق الغرض ، وإنما تشترك علوم كثيرة فى ذلك (٣٨) .

وفى كتابه (التنبيه على سبيل السعادة) يرى الفارابى ضرورة توافر ما يمكن أن نسميه بـ (الوعى) حتى يحصل الفرد على السعادة بمعنى أنه لا يمكن للإنسان أن يكون سعيداً حتى ولو توافرت له تلك الأشياء بدون توافر الوعى اللازم والمتوفر لتحصيله لها ، ورحم الله محمد إقبال عندما ركز على ضرورة تأكيد الذات للإنسان ، بمعنى كونها ذاتاً واعية، وربط بين ذلك وبين نصيب الإنسان من السعادة (٣٩) .

ولا يتوقف الفارابى عند هذا الحد من تصويره للسبيل إلى إدراك السعادة ، بل نراه يقدم مثالاً عملياً من خلال استعراض امتحان يمكن للمرء أن يمر به فينجح ويحصل سعادته ، كما يمكن له عكس ذلك فيفشل وتكون الشقاوة من نصيبه ، ذلك الامتحان يقيمه الفارابى من خلال تصوير العلاقة بين الإنسان واللذة بما لها من سيطرة على الإنسان قد تعميه مع غياب الوعى عن الامتثال للقانون ، فيربط مثلاً بين اللذة وبين الأمر القبيح ، فيأتى القبيح ، كما يربط بين غياب اللذة أو الألم وبين الأمر الحسن فلا يأتيه . ومن هنا تنجح اللذة فى إبعاد الإنسان عما هو حسن وفاضل ، وبالتالى فى إبعاده عن سعادته الحقيقية ، فى حين أن الإنسان الواعى يدرك ما هو حسن وفاضل ، وما هو قبيح ورذل بغض النظر عن الارتباط بين كل هذا وبين اللذة أو عدم ارتباطه (٤٠) .

دور المعرفة فى الإصلاح الاجتماعى :

وإذا كان للمعرفة فى الإسلام دور فى تهذيب الأخلاق ، فإن هـذا ربمـا يوحى بأن آثارها لا تتعدى دائرة الفردية ، ومن ثم وجب النظر فى آثارها على المستوى الأكبر وهو التغيير الاجتماعى بهدف التطوير والإصلاح والتنوير .

والحق أن القرآن الكريم نفسه يجعل المعرفة شـرطاً أساسـياً لعمليـات التغيير الإصلاحى للمجتمع إنه يتطلب هذه المعرفة فى الإنسان المسلم ، ويراه غير جدير باسم المسلم إلا إذا حصل على قسط وافر من هذه المعرفـة نتيجـة للبحث والنظر واستثمار العقل فيما خلقه الله من أجله ، يتطلب القرآن ذلك فـى المسلم بصفة عامة ، فما بالنا حين يكون هذا المـسلم مـن الـداعين للـدين ، والمنمين للثقافة ، والموجهين للحياة ؟ إن الأمر هنا يصبح من الواجبات الدينية الأساسية [٤١].

ولعل أهم خطوة لكى يمارس الإنسان مـا يعرفـه مـن أجـل التغييـر الاجتماعى هى الهجوم الناقد على المتوارث من أفكار وعادات وتقاليـد بغيـة فحصه ونفى ما يكون عقبة على طريق العمل الصالح . والإسلام لا يقبل مـن المسلم أن يلغى عقله ليجرى على سنة آبائه وأجداده ، ولا يقبل أن يلغى عقلـه خنوعاً لمن يسخره باسم الدين فى غير ما يرضى العقل والدين ، ولا يقبل منه أن يلغى عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشياء ، ولا يكلفه فى أمر من هذه الأمور شططاً لا يقدر عليه .

إن الإسلام ليأبى على المرء أن يحيل أعذاره على آبائه وأجداده كما يأبى له أن تحال عليه الذنوب والخطايا من أولئك الآباء والأجداد ، وإنه لينعى على الذين يستمعون الخطاب أن يعفوا أنفسهم من مؤونة العقل لأنهم ورثـوا مـن آبائهم وأجدادهم عقيدة لا عقل فيها [٤٢] .

- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٠).

- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ (سورة المائدة :١٠٤).

- ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٨).

وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم ونموا من أخذ أقوالهم بغير حجة فقال الشافعى : الذى يطلب العلم بلا حجة ، كمثل حاطب ليل يحمل أفعى تلدغه وهو لا يدرى . وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع ، فقال أبو داود : سمعته يقول : الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه ، ثم هو بعد فى التابعين مخير ، وقال أيضاً : لا تقلدنى ولا تقلد مالكاً ولا الثورى ولا الأوزاعى ، وخذ من حيث أخذوا ، ومن قلة فقه الرجل أن يقلد فى دينه الرجل ، وقال أبو يوسف : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا . (٤٣)

وسواء فى محو مخلفات الماضى الموروث غير الصالحة أو فى بناء جديد ، فلابد من التدرج لأنه سنة كونية ، وسنة شرعية أيضاً ، ولهذا خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام، وكان قادراً أن يقول : كونى فتكون ، ولكنه خلقها فى أيام ستة من أيام الله تعالى ، أى فى ستة أطوار أو أزمنة يعلمها الله ، فليست هى أيامنا هذه إذ هى قبل خلق الشمس والأرض وما يتبعهما من ليل أو نهار (٤٤) .

وكذلك نرى خلق الله من إنسان وحيوان ونبات .. كلها تتدرج فى مراحل حتى تبلغ نماءها وكمالها .

فهنا من الناحية الكونية ، وأما من الناحية الشرعية ، فقد بدأ الإسلام بالدعوة إلى التوحيد وتثبيت العقيدة السليمة ، ثم كان التشريع شيئاً فشيئاً ، فقد فرضت الفرائض وحرمت المحرمات بالتدرج ، كما هو ثابت فى فرض الصلاة والصيام والزكاة وتحريم الخمر وغيرها، ولهذا أفترق القرآن المكى عن القرآن المدنى .

واتجاه المعرفة فى الإسلام إلى التغيير الاجتماعى ، كان يستتبع ، بالإضافة إلى مراعاة التدرج ، الأخذ بعين الاعتبار ما بين المجتمعات من أوجه اختلاف وصور تباين ، حتى لقد عرف الفقه والتشريع الإسلامى ما يمكن تسميته بتغير الأحكام وفقاً لاختلاف الظروف والأحوال ، قال ابن القيم [٤٥] : " وهذا فضل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل إليه وما يعلم أن الشريعة الباهرة لا تأتى إلا به ، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكمة والمصالح ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن أدخلت فيها بالتأويل".

وإن إعادة استقراء بعض الكتابات والمواقف التى أكدت على أهمية العمل وضرورته تبرز لنا أنه كان من أجل المجتمع ، بحيث تسقط تلك الدعوى التى يتصور فيها البعض أن المعرفة فى الإسلام تطلب لذاتها فقط أو من أجل هدف أخروى فحسب ، ولنضع أمامنا هذا النص للعامرى أحد فلاسفة الإسلام فى القرن الرابع الهجرى فى نيسابور، حيث يكشف عن استقباحه القول بمبدأ العلم للعلم ، فيقول [٤٦] :

" إن كل من آثر هذه العقيدة ، فقد ارتكب خطأ فاحشاً (إن ظن هـذا)، فإن العلم مبدأ للعمل، والعمل تمام العلم ، ولا يرغب فى العلـوم الفاضـلة إلا لأجل الأعمال الصالحة ، ولو جعل الله الجبلة البشرية مقصورة على تحـصيل العلم دون تقديم العمل ، لكانت القوة العملية إما فضلاً زائداً ، وإما تبعاً عارضاً ، ولو أنها كانت كذلك ، لما كان عدمها ليخل فى عمارة البلاد وسياسة العباد" .

وهكذا يتضح أن الزعم بأن تحصيل العلم وحده يكفى باطل ، وإلا لما أثر ذلك على حركة العمران ونشاط السكان ، والواقع يشهد بخلاف ذلك ، فالتخلف العلمى يستلزم التخلف الحضارى لأن إصلاح المجتمع فى هذه الحالـة سـوف يسند إلى الجهلاء الأغبياء ، ومن أجل ذلك يحذر العامرى من خطورة فـصل العلم عن العمل فيقول : " كلا : إن توهم هذا يؤدى إلـى تفـويض الأعمـال الصالحة بأسرها إلى ذوى الجهل والغباوة ، ولو جعل الأمر كـذلك لوجـدت الطبيعة الانسية عند إقامتها الأعمال الصالحة مستغنية عن العلوم الحقيقية " (٤٧)

ومن هنا نظر ابن خلدون إلى التعليم باعتباره (صنعة) من الـصنائع ، أو كما نقول نحن فى أيامنا هذه (فنا) من الفنون العملية التى لا يمكن أن يقف الإنسان فيها عند العلم ، بل لابد من الممارسة والتدريب حتى يكتسب المهـارة المطلوبة ، والتعليم بطبيعة الحال عندما يتجاوز مجرد العلم إلى (الفـن) و (المهارة) ، تتضح إمكاناته فى التغيير والتطوير والإصلاح ، يقول ابن خلدون في ذلك(٤٨) :

" التعليم للعلم من جملة الصنائع ، وذلك أن الحذق فى العلم والتفنن فيـه والاستيلاء عليه، إنما بحصول ملكة فى الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله ، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحـذق فى ذلك المتناول حاصلاً وهذه الملكة هى غير الفهم والوعى " .

تعدد آفاق المعرفة :

ولو أن المعرفة فى الإسلام محصورة فى مجال واحد لا تتعداه لما كان لها الفاعلية المطلوبة لتطوير المجتمع وتغييره ، وإنما هى متعددة الآفاق ، وآية ذلك أن العلم فى القرآن الكريم يعنى :

أولاً : " جملة المعارف التى يدركها الإنسان بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق من شيء، ويشمل الخلق هنا ، كل موجود فى هذا الكون ذى حياة أو غير ذى حياة " . [٤٩] وهذا المعنى يفهم من هذه الآيات العديدة التى تحض الإنسان على التفكير والفراسة لما فى الكون من مظاهر مختلفة ، أوردنا منها فى صفحات سابقة ، ونزيد هنا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٦٤) .

ولقد جنى بعض العلماء على المسلمين فى الماضى جناية بعيدة الأثر فى حياتهم ، جناية صرف الناس عن الكون وأسراره ، فهذا لا يتفق وأغراض القرآن ، فضلاً عن هذه الدراسات، رفع التعمق فيها أمماً من أمم العالم ، ومكن لها فى الأرض ، فاستولت على أمم تفوقها عدداً وثروة ، واستولت على عروش العز والسلطان ، وإهمال هذه الدراسات سلب العزة من أمم كانت خليقة بالعز ، بتاريخها ودينها وثروتها . [٥٠]

ثانيا : " التبصر فى أى أمر من الأمور والاتيان به على الوجه الأكمل [٥١] ، " أو بمعنى آخر هو طريقة تفكر ومنهج بحث ، وهذا يفهم من قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الزمر: ٩) ، وهو

استفهام استنكارى ، معناه أنه لا يستوى عالم وجاهل . وقال تعالى ﴿ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ (سورة الرعد : ١٦) ، أى أن الظلمة لا تساوى النور ، فبين الله لنا أن الظلمة مثال لحال من لا يعلم ، وأن النور مثال لحال من يعلم ، فتبين من ذلك أن عدم العلم ، يشبه الظلام ، ونحن نعلم ما يكون من الإنسان إذا اشتد به الظلام وهو سائر فى طريق يقصد غاية معلومة ، فان الظلام يعمى عليه الطريق ، وربما سلك طريقا يبعده عن مقصده ، وهو قد يصادف هوة فيسقط فيها فيهلك قبل الوصول إلى مقصده [٥٢] .

وسوف نتناول فى نقطة مستقلة فيما بعد المعنى الثانى للعلم فى القرآن ، ونقتصر الآن على إيراد الأمثلة والشواهد على أن الله جلت قدرته قد طلب من الإنسان على سبيل الأمر لا على سبيل التوجيه فقط ، أن يجوب آفاق الكون باحثا منقبا دارسا : [٥٣]

١ – **فى الفلك** : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ (سورة آل عمران : ٢٧).

–﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأنعام : ٩٦) .

–﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (سورة الفرقان :٦١) .

–﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ

خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ (سورة الملك ٣-٥) .

٢ – **فى الجغرافيا** : -﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة الأعراف :١٠).

- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٥٧).

- ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ (سورة الحجر: ١٩).

-﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ (سورة الحجر: ٢٢).

٣ – **فى النبات** : - ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٦١).

- ﴿ إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (سورة الأنعام: ٩٥).

- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾(سورة الأنعام: ١٤١).

-﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة النحل : ٦٧) .

٤ - **عن الحيوان** : - ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(سورة الأنعام: ٣٨).

-﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ ﴾ (سورة الأنعام: ١٤٢) .

- ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (سورة النحل: ٥- ٩) .

- ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ (سورة النحل : ١٤).

٥ - **خلق الإنسان** : - ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء ﴾ (سورة آل عمران: ٦).

- ﴿اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾(سورة الرعد: ٨).

- ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ (سورة مريم: ٦٧) .

والمجتمع الإسلامى عندما يمتثل بالفعل للهدى القرآنى فيفتح لأبنائه مختلف آفاق البحث والتعليم وييسر لهم سبله المتعددة المتعارف عليها ، إنما يفتح لنفسه بذلك آفاقاً من التقدم يمكن أن تجعله فى مقدمة الأمم القوية التى تضع بصماتها على صفحات التاريخ ، وليس هذا بالحديث كما قد يتصور البعض ، فكتابات ابن خلدون تدهشنا بوعيه الواضح بهذه الحقائق فيذهب إلى أن هناك اقترانا واضحاً بين دراسة مختلف العلوم والتقدم فيها وبين ما يحرزه المجتمع من تطور ورقى ، ومن هنا فقد عقد فصلاً أكد فيه " أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة ، والسبب فى ذلك أن تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع ، وقد كنا قدمنا أن الصنائع إنما تكثر فى الأمصار ، وعلى نسبة عمرانها فى الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع فى الجودة والكثرة لأنه أمر زائد على المعاش ، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف فى خاصية الإنسان وهى العلوم والصنائع ، ومن تشوف بفطرته إلى العلم ممن نشأ فى القرى والأمصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذى هو صناعى لفقدان الصنائع فى أهل البدو .. ولابد له من الرحلة فى طلبه إلى الأمصار المستبحرة شأن الصنائع كلها " .

وتطبيقاً لهذه القاعدة الاجتماعية التاريخية ، يضرب ابن خلدون الأمثال بما حدث فى بعض البلدان الإسلامية وقت قوتها وما ازدهر فيها من المعارف مثل بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة ، ثم كيف انقلب الحال عندما تطرقت إليها عوامل الاضمحلال والتفكك وعلى العكس من ذلك انتقل مركز الإشعاع الحضارى إلى القاهرة " ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما

هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين ، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ، ومن جملتها تعليم العلم ، وأكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين فى دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرا " (٥٤).

النهج العلمى فى تناول المعرفة :

ومن الأركان الأساسية لاجتماعية المعرفة ، أن ينهج متناولها فيها نهجاً علمياً ، ذلك لأنه إذا لم يفعل ذلك ، تحولت إلى مجردات وغلبت عليها الخرافات ، وافتقد الإنسان إدراك القوانين الحقيقية التى تفسر الظواهر وهذا وذاك يستحيل معه أن توظف المعرفة لخدمة المجتمع ، ويستحيل معه أن تكون ذات أثر حقيقى فى تغيير السلوك سواء على المستوى الفردى أم على المستوى الاجتماعى ، ونحن نعلم من حقائق العصر الحالى أن هذا التقدم المذهل فى التطبيقات العلمية المختلفة بحيث أصبحت حياة الإنسان ميسرة إلى حد كبير – وبحيث استطاع الإنسان أن يحل الكثير من مشكلاته الاجتماعية – ما كان يمكن أن يتم لولا الاستناد إلى المنهج العلمى بأصوله وقواعده التى تعارف عليها علماء البحث العلمى .

وإذا كان المنهج العلمى السليم يقوم على الاستفادة من كل من طريقتى الاستنباط ، وأيضاً الاستقراء معاً ، فإننا بدراسة النص التالى من القرآن الكريم سوف ندهش لهذه الدقة العلمية المنهجية ، والتى لا سبيل إلى تفصيلها هذا التفصيل الرائع منذ ألف وأربعمائة سنة إلا على يد الخالق الأوحد العليم الحكيم سبحانه جل شأنه ، يقول تعالى فى محكم تنزيله :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنعام ٧٤-٨٣) .

ففى هذه الآيات المحكمات ، نجد أنفسنا أمام خطوات المنهج العلمى التى تبدأ أولاها بمشكلة تعرض أمام الإنسان تتمثل فى موقف غامض ، وبحكم طبيعة الإنسان التى تتشد اليقين، تبحث عن الحل ، فهنا نجد إبراهيم عليه السلام يتعجب من عبادة قومه للأصنام مع أنها لا تنفع ولا تضر وهى مصنوعة لا صانعة وهو بالقياس الاستنباطى يرى أن هذا الكون لابد له من خالق قادر على كل شىء ، ولكن من هو ؟

هنا يبدأ فى وضع عدد من الفروض ، كأن يكون الخالق هو القمر ، أو الشمس ، ثم يفحص كل فرض منها بالاختبار ، فإذا به يرى أنها لا تصمد له ، فلا يجد أمامه إلا الحقيقة الكبرى ، حقيقة وجود الله الواحد الأحد الذى لم يولد ولم يلد ولم يكن له كفوا أحد ، وهو بعد أن يصل إلى هذه الحقيقة يشعر بالطمأنينة تملأ جوانحه والسكينة تتسرب إلى نفسه ، فيحس بالقوة أمام الباطل ، ويحس بشجاعة تجعله يتحدى قوى القهر والبطش ويتعجب ألا يخاف المشركون

عذاب يوم عظيم بعد أن هداه الله إلى الحق فبشرهم به . وعندما نقرأ هذه المقارنة بين الفريقين : فريق استعمل عقله وبحث وتأمل وافترض وقارن واختبر وفريق قد عطل ما وهب من وسائل الإدراك الحسى والعقلى ولا يسير إلا على ما ألفه من الآباء والأجداد بغير نقد ولا فحص ، لابد أن نتيقن من ترجيح كفة الأول .

ومن استقراء هذه الآيات أيضاً نستطيع أن نلمس أن الاعتقاد بحقيقة ما لابد أن يستند إلى الموضوعية وعدم التعصب ، ولذلك احتلت هذه القضية مكاناً بارزاً عند الفقهاء ، وليسمح لنا القارئ بأن نطول من وقفتنا هنا مع الشوكانى (المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ) فى كتابه (طلب العلم وطبقات المتعلمين) لما احتواه من مبادئ وقواعد لو اتبعت حق الاتباع ، لكان لنا إنجاز علمى رائع :

فهو يعتذر للقارئ بأن يحدثه عن خبرته الشخصية العلمية لا من باب التفاخر والتباهى وإنما من منطلق التحدث بنعم الله عليه ولكى يستفيد طلاب العلم من خبرته فلا يقعوا فيما وقع هو فيه من أخطاء . ففى بداية طلبه للعلم كان الموضوع يتعلق بالطهارة والصلاة فطالع الموضوع قبل أن يدخل على حلقة الدرس ، فإذا به يجد نفسه أمام كم غير قليل من الآراء المختلفة ، فسأل والده عن أى الآراء يأخذ ، فكان رد أبيه أن يأخذ بما فى كتاب الأزهار ، فسأل الوالد : هل يعنى هذا أن صاحب هذا الكتاب أكثر علماً وأقوى حجة من غيره فإذا بالأب يجيب بالنفى ، ويسأل الابن : فكيف يكون من الضرورى اتباع رأيه فكان الرد " اصنع كما يصنع الناس " (٥٥) .

كانت صدمة لهذا الطالب المتطلع إلى المعرفة الموضوعية المنهجية ، ولذلك سار على درب آخر أملاه عليه ضميره ، وقبل هذا استشفه من دينه الإسلامى ومن هنا فقد سجل : " ثم مازالت .. أنظر فى مسائل الخلاف وأدرسها على الشيوخ ولا أعتقد ما يعتقده أهل التقليد من حقية بعضها بمجرد

الإلف والعادة والاعتقاد الفاسد والاقتداء بمن لا يقتدى به بل أسأل من عنده علم بالأدلة عن الراجح وأبحث فى كتب الأدلة عن ما له تعلق بذلك وأستروح إليه وأتعلل به مع الجد فى الطلب واستغراق الأوقات فى العلم " .

من أجل هذا ينصح الشوكانى طالب العلم بأن يلزم نفسه بشريعة الإنصاف وعدم التعصب لمذهب من المذاهب ولا لعالم من العلماء ، بل يجعل الناس جميعاً بمنزلة واحدة فى كونهم منتمين إلى دائرة أهل العلم ، ولأمر ما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم (المنصف) أعلم الناس إذا اختلفوا ولو قصر فى العمل ، ذلك لأنه يكون مبرءًا عن الهوى وقصد السوء .

وأفاض الشوكانى فى كتابه الحديث عن أسباب وعلل التعصب ويضرب الأمثلة من أحداث تكون قد حدثت له أو لغيره من العلماء المسلمين لينتهى أخيراً إلى قوله :

" وبالجملة فليس المتعصب بأهل لأن يؤخذ الحق من مؤلفاته فإنه إذا لم ينتفع بالعلم ويهتدى بما عرف منه ، فكيف يهتدى به غيره ، أو يتوصل بما جمعه إلى ما هو الحق ، فالمصاب بالعمى لا يقود الأعمى ، فإن فعل كانت ظلمات بعضها فوق بعض ، والمريض لا يداوى من هو مصاب بمثل مرضه . ولو كان صادقاً فيما زعمه من اقتداره على المداواة ، كانت نفسه التى بين جنبيه أحق بذلك منه " (٥٦) .

المعرفة للجميع :

ترى : لمن يجب أن تكون المعرفة فى الإسلام ؟ لكى نجيب عن هذا السؤال يجب أن نفرق بين أمرين : فالمعرفة من حيث إنتاجها تكون محصورة على القادرين على أمرها ، لأن إنتاج المعرفة يستلزم قدرات ومهارات ومؤهلات ليست متيسرة ، (ومن العسير أن تصور عكس ذلك) لكل الناس ،

فها هنا (كل ميسر لما خلق له) ، أما من حيث استهلاكها والانتفاع بثمراتها فهذا يكون من حق الجميع .

ونحن إذا تأملنا بعض آيات القرآن الكريم فسوف نلمس حرصه على دعوة الذين يعرفون لأن يذيعوا وينشروا ما توصلوا إليه من العلم والمعرفة إلى الذين هم فى حاجة إليها تعميماً للفائدة بين كل المسلمين ، يقول جل شأنه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (سورة البقرة :١٥٩) . صحيح أن هناك أسباباً خاصة بنزول هذه الآية ، إلا أننا نتفق مع الشيخ محمد عبده فى القول بأن الحكم فيها عام ، فكل من يكتم آيات الله وهدايته عن الناس فهو مستحق لهذه اللعنة . ولما كان هذا الوعيد وأشباهه حجة على الذين لبسوا لباس الدين من المسلمين وانتحلوا الرياسة لأنفسهم بعلمه ، حاولوا التنصل فقال بعضهم : إن الكتمان لا يتحقق إلا إذا سئل العالم عن حكم الله تعالى فكتمه ، وأخذوا من هذا التأويل قاعدة هى أن العلماء لا يجب عليهم نشر ما أنزل الله تعالى ودعوة الناس إليه وبيانه لهم ، وإنما يجب على العالم أن يجيب إذا سئل عما يعلمه [٥٧] ، وزاد بعضهم : إذا لم يكن هناك عالم غيره ، وإلا كان له أن يحيل على غيره . وهذه القاعدة مسلمة عند أكثر المنتسبين إلى العلم اليوم وقبل اليوم بقرون ، وردها أهل العلم الصحيح فقالوا : إن القرآن الكريم لم يكتف بالوعيد على الكتمان ، بل أمر ببيان هداه للناس ، بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأوعد من يترك هذه الفريضة ، وذكر لهم العبر فيما حكاه عن الذين قصروا فيها من قبل كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٧) وقوله ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ إلى قوله فى المتفرقين عن الحق ﴿ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤- ١٠٥) وقوله﴿ لُعِنَ

الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ إلى قوله في عصيانهم الذى هو سبب لعنتهم﴿ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ (سورة المائدة : ٧٨- ٧٩) ، فأخبر تعالى أنه لعن الأمة كلها لتركهم التناهى عن المنكر .

نعم إن هذا فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ولكن لا يكفى فى كل قطر واحد كما قال بعض الفقهاء ، بل لابد أن تقوم به أمة من الناس ، كما قال الله تعالى لتكون لهم قوة ولنهيهم وأمرهم تأثير . (٥٨)

كذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بنشر العلم وحرم كتمانه ، وذكر ذلك فى مناسبات كثيرة ، وشهد على هذا ألوف المسلمين ، قال ابن مسعود :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " نضر الله أمرئاً سمع منا حديثاً ، فحفظه حتى يبلغه ، فرب مبلغ أحفظ له من سامع " (مسند الإمام أحمد ن جـ٦، ص ٩٦، الحديث رقم ٤١٥٧) . والحديث مشهور وطرقه كثيرة بألفاظ متقاربة ، منها " رب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه " ، ومنها : " نضر الله عبداً سمع مقالتى فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .. " (٥٩) .

وما دام الأمر كذلك فمن الطبيعى أن يعنى القرآن بتقديم أساليب متنوعة وطرق مختلفة لـ(تعليم) الناس ، منها على سبيل المثال :

أسلوب العبر التاريخية : إذ يسرد القرآن بعض الحوادث التاريخية لأمم وشعوب غابرة لا من حيث كونه كتاب تاريخ ، بل لأن هذه الحوادث التاريخية تحوى عبراً أخلاقية واجتماعية للمجتمعات البشرية فى كل زمان ومكان ، فالكفر والطغيان والفساد والإخلال بالموازين المادية والمعنوية كلها تعمل على

تقويض المجتمع وانهياره ، وذلك ما حدث لقوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود وقوم مدين وقوم لوط وقوم فرعون وغيرهم ، فكل هؤلاء هلكوا لخروجهم عن السنن الإلهية المقررة فى حياتهم الروحية والأخلاقية والاجتماعية . [٦٠] .

التمثيل [٦١] : وهو أن يقيس المستدل الأمر الذى يدعيه على أمر معروف ويبين الجهة الجامعة بينهما ، والآيات الكريمة التى تنهج ذلك المنهج كثيرة ، أنظر إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ (الحج:٥-٧) .

فها هنا نراه سبحانه وتعالى قاس أمر الإعادة للإنسان خلقا سوياً فى الحياة الآخرة الذى كان يثير استغراب العرب على الأمر الذى ليس موضع ريب ، ولا مجال للشك فيه ، وهو الإنشاء الأول ، وكان القياس على أبلغ وجه وأجمل أسلوب ، قد التقى فيه الجلال والكمال والجمال ، ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة يس حاكياً اعتراض المشتركين والرد عليهم : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (يس:٧٨-٨١) .

الاعتماد على أهل التخصص : فقد علمنا القرآن الكريم وكذلك علمتنا السنة النبوية أن نرجع فيما لا نعلم إلى العالمين من أهل الذكر والخبرة ، بقوله تعالى ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(سورة الأنبياء: ٧).

وقال أيضاً ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (سورة النساء: ٨٣).

وقال : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ (سورة الفرقان :٥٩) وقال : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (سورة فاطر: ١٤).

وقال النبى صلى الله عليه وسلمَ في صاحب الشجة الذى أفتاه بعض الناس بوجوب الغسل رغم جراحاته ، فاغتسل فمات ، قال : " قتلوه قتلهم الله . هلا سألوا إذا لم يعلموا ؟ فإن شفاء العى السؤال " (٦٢).

لقد عاب أسلافنا من محققى العلماء على بعض أهل العلم فى أزمانهم ممن يتسارعون إلى الفتوى دون تثبت وروية كافية ، وكان مما قالوه : " إن أحدهم يفتى فى المسألة لو عرضت على عمر لجمع لها أهل بدر " ، ومن مأثور القول : " أجرؤكم على الفتيا ، أجرؤكم على النار " ، وكان الخلفاء الراشدون – مع ما آتاهم الله من سعة العلم – يجمعون علماء الصحابة وفضلائهم عندما تعرض لهم مشكلات المسائل ، يستشيرونهم ويستنيرون برأيهم ، ومن هذا اللون من الفتاوى الجماعية نشأ الإجماع فى العصر الأول .

الأسلوب القصصى : ومن الأساليب التربوية المعروفة أسلوب القصة ، فالقصة تؤثر فى النفس إذا وضعت فى قالب عاطفى مؤثر (٦٣) . والقصة ذات المغزى الأخلاقى المثير قد تعالج أعماق النفس فتحرك الدوافع الخيرة فى الإنسان ، وتطرد النزعات الشريرة فيه – فهى قد تجعل القارىء أو السامع

يتأثر مما يقرأ أو يسمع فيميل إلى الخير وينفذه ويمتعض من الشر فيبتعد عنه، وفعل القصة الأخلاقية أمر معروف منذ القدم ، فقد استعمل القصة حكماء الهند والفرس واليونان والقرآن الكريم جاء بقصص تربوية هى غاية فى الأهمية فى علاقات الإنسان الأخلاقية بأخيه الإنسان، ذلك مع جمال الأسلوب وبلاغة المعنى ، كما نص القرآن الكريم على أهمية القصة للعبرة الأخلاقية ، فقد ورد فى القرآن الكريم :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾(سورة يوسف: ٣).

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ..... ﴾ (سورة يوسف: ١١١) .

وهكذا تتعدد المظاهر والجوانب والآيات المبينة والمؤكدة على أن المعرفة فى التربية الإسلامية تتجه إلى المجتمع لتطويره وتغييره ، وهى كذلك لابد أن تتأثر به ، ولا تناقض بين الأمرين ، لأن التأثر لا يعنى فى كل الأحوال المطابقة والتماثل ، كما ، لكى تحقق هذا الهدف لابد أن تكون (علمية) ، ولابد أن تتبع الطرق والأساليب التى تتيسر معها لجماهير الناس ، إلى غير ذلك من مسائل وقضايا أثرناها من خلال هذا البحث .

الهوامش

١. محمد الهادى عفيفى : فى أصول التربية ، الأصول الفلسفية ، الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٧٧ ، ص ٢١١ .

٢. قبارى محمد إسماعيل : علم الإجتماع والفلسفة ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٩٦ .

٣. سعيد إسماعيل على : تدريس المواد الفلسفية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٩٢.

٤. زينب رضوان : النظرية الإجتماعية فى الفكر الإسلامى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٦٤ .

٥. محمد البهى : الإسلام فى حياة المسلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤٥

٦. زينب رضوان : مرجع سابق ، ص ٢٦٥ .

٧. عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٨٤ .

٨. المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

٩. محمد أنس الزرقاء : صياغة إسلامية لدالة المصلحة الإجتماعية ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد السادس عشر ١٩٧٨ ، ص ٧٣ .

١٠. المرجع السابق ص ٧٦ .

١١. عائشة عبد الرحمن ، الشخصية الإسلامية ، ص ١٨٨.

١٢. محمد أحمد خلف الله : القرآن والثورة الثقافية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٤ .

١٣. المرجع السابق ، ص ٥.

١٤. أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، د٠ت ، ص ١٣ .

١٥. مقدمة ابن خلدون ، دار الشعب ، القاهرة ، د٠ت ، ص ٣٩٦ .

١٦. أحمد محمد الحوفى : القرآن والتفكير ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، العدد ١٧٠ من سلسلة دراسات إسلامية ، ص ١١ .

١٧. على عبد العظيم : فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم ، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ، العدد الخامس والستون ، يونية ١٩٧٣ ، ص٩٤ .

١٨. عبد الفتاح أحمد فؤاد : فى الأصول الفلسفية للتربية عند مفكرى الإسلام منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ٣٥٥ .

١٩. المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .

٢٠. عماد الدين خليل : العقل المسلم والرؤية الحضارية ، دار الحرمين للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ١٤ – ١٥ .

٢١. حسن صعب : الإسلام والإنسان ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١ ،ص ٧١

٢٢. القرآن والثورة الثقافية ، ص ١٥ .

٢٣. المرجع السابق ص ١٦ .

٢٤. عماد الدين خليل : فى التفسير الإسلامى للتاريخ ، المسألة الحضارية ، مجلة المسلم المعاصر/ العددان الأول والثانى ، ١٩٧٥ ، ص ٣٥ .

٢٥. المرجع السابق ، ٣٦ .

٢٦. المرجع السابق ، ٣٧ .

٢٧. القرآن والثورة الثقافية ، ص ٥٩ .

٢٨. القرآن والتفكير ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

٢٩. المرجع السابق ، ص ٢٧ .

٣٠. فى الأصول الفلسفية للتربية عند مفكرى الإسلام ، ص ١٥٤ وما بعدها

٣١. يوسف القرضاوى : الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطـــرف ، دار الشروق القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص٩٤ .

٣٢. حسن صعب ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

٣٣. العقل المسلم ، مرجع سابق ، ص ٢٤.

٣٤. أحمد عبد الغفور عطار : آداب المتعلمين ورسائل أخرى فى التربيـــة الإسلامية د . ت ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ١١٧ .

٣٥. فى الأصول الفلسفية للتربية عند مفكرى الإسلام ، ص ١٣٠ – ١٣١ .

٣٦. مقداد يالجن : جوانب التربية العقلية والعلمية فى الإسلام ، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٣١ ، ١٩٨٢ ، ص ٦٤.

٣٧. المرجع السابق ، ص ٦٥ .

٣٨. أسماء حسن فهمى : مبادئ التربية الإسلامية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ١٩٤٧ ، ص ٨٩ .

٣٩. المرجع السابق ، ص ٩١ .

٤٠. عبد الحى قابيل : المذاهب الأخلاقية فى الإسلام ، دار الثقافة والنـــشر والتوزيع ، القاهرة، ١٩٨٤ ، ٢٧٥ .

٤١. المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

٤٢. القرآن والثورة الثقافية ، ص ٦٩ .

٤٣. عباس محمود العقاد : التفكير فريضة إسلامية ، دار القلم ، القاهرة ، د.ت ، ص٢٢ .

٤٤. محمد مصطفى المراغى : الاجتهاد فى الإسلام ، المكتب الفنى للنشر ، القاهرة ، سبتمبر ١٩٥٩ ، ص ٢٢ .

٤٥. الصحوة الإسلامية ، ص ١٠٧ .

٤٦. المراغى ، الاجتهاد فى الإسلام ، ص ٤١ .

٤٧. فى الأصول الفلسفية للتربية عند مفكرى الإسلام ، ص ٣١٤ .

٤٨. المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

٤٩. مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٩٦ .

٥٠. التفكير فريضة إسلامية ، ص ٨٥ .

٥١. محمد مصطفى المراغى : حديث رمضان ، دار الهلال (كتاب الهلال ، ١٤) مايو ١٩٥٢ ، ص ١٢ .

٥٢. محمد عبده : دروس فى القرآن الكريم ، دار الهلال (كتاب الهلال ، ٩٦) مارس ١٩٥، ص ١٢٠.

٥٣. سعيد إسماعيل على : ديمقراطية التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ،١٩٨٢ ، ص ٧٥.

٥٤. عماد الدين خليل : محاولة لتبويب الآيات العلمية فى القرآن الكريم ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد العشرون ، ١٩٧٩، ص ٧٩- ١٣٤.

٥٥. مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٠٠.

٥٦. محمد بن على الشوكانى : طلب العلم وطبقات المتعلمين ، دار الأرقم ،غير معلوم بلد النشر ، بدون تاريخ ،ص ٢١.

٥٧. المرجع السابق ، ص ٨٩ .

٥٨. محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢، ج ٢ ، ص ٤١.

٥٩. تفسير المنار ، ج ٢ ص ٤٢.

٦٠. سعيد إسماعيل على : أصول التربية الإسلامية ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٨.

٦١. محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى الإسلامى ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٧٨ ، ص ١١٣.

٦٢. محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٠، ص ٦٨.

٦٣. الصحوة الإسلامية ، ص ٢٠٤.

٦٤. نحو توحيد الفكر التربوى ، ص ١١١.